

## دور الحوار في ترسيخ مضامين القيامة

### The role of dialogue in consolidating the contents of the Resurrection

Dr. Hafiz Haris Saleem, Lecturer, Department of Arabic, Allama Iqbal Open University Islamabad.

[drharissaleem@gmail.com](mailto:drharissaleem@gmail.com)

#### Abstract

Dialogue is one of the most important ways for preaching the truth and countering falsehood. Its main objective is to reach out to reality. This study samples and analyses the verses of the dialogue in the scenes of the resurrection. This is the most effective dialogue, which is heart touching, mind-blowing and produces many positive results. This article deals with the importance of dialogue in illuminating the themes and objectives of the resurrection, through presenting the same ideas in different ways, and the diversity of dialogue. The dialogue concentrates mainly on four subjects in the scenes of the resurrection. At the end of the study, the researcher has drawn various conclusions.

**Key words:** Resurrection, Dialogue, Illuminating, Subjects.

الحوار في المشهد القرآني ليس عملاً فنياً مستقلاً بموضوعه وطريقة عرضه كما هو الشأن في الأعمال الأدبية ، بل إن الحوار وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى تحقيق هدفه الأصيل ، وهو إبلاغ الدعوة وتثبيتها ، مع أن القرآن بإعجازه جمع بين الغرض الديني والغرض الفني في آن واحد ، وجعل من الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني كما يقول سيد قطب في وصف مشاهد القيامة في القرآن : " التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن ، فهو يعبر بالصورة المحسنة المتخلية عن المعنى الذهني ، والحالة النفسية وعن الحادث المحسوس والمشاهد المنظور ، وعن النموذج الإنساني ، والطبيعة البشرية ... فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخيل ، فما يكاد يبدأ العرض حتى يحيل المستمعين نظارة ، وحتى ينقلهم نقلاً على مسرح الحوادث الأول الذي وقعت فيه أو ستقع "1

فالحوار يشكل انعكاساً لدواخل الأشخاص وانفعالهم النفسية وسماتهم وطبائعهم ، وهو خير وسيلة لتصوير الانطباعات والمواقف. ويقول صلاح الدين عبد التواب : " أما القرآن فقد كان طريقه إلى العقل هو ذات الطريق إلى القلب والوجدان ، واتخذ لذلك وسيلة التصوير فبلغ الغاية في مادته و طريقته "2

فالحوار وسيلة ناجحة لدعوة الناس إلى الدين ، وهو طريق لتوحيد الآراء ، وقد ورد الحوار في القرآن في قالب من الفن الرفيع ، فكان أدعي للقبول والإقناع ، فجمع بين التأثير على العقل بالأصول والقواعد المهنية في الحوار ، والأدلة والحجج الدامغة الجلية والتأثير على العاطفة بالأساليب البيانية، التي تخاطب الوجدان فتزهه، وتناجي النفوس فتأسرها.

وسيعرض الباحث في هذا دور الحوار في تثبيت هذه المضامين ، بطرائق و أساليب مختلفة ، من تعدد أطراف الحوار واختلاف السياقات ، وتكرار الأسئلة، واختلاف أساليب الإجابة ، والنتائج الهامة.

## الحوار في اللغة و الإصطلاح لغة :

ورد لفظ الحوار في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع . كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾<sup>3</sup>

وقوله تعالى : ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾<sup>4</sup>  
وقوله تعالى : ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾

5

**قال الراغب الأصفهاني:** " المحاورَةُ والحَوَارُ: المرادَةُ في الكلام ، ومنه التحاوُرُ".<sup>6</sup>

**قال القرطبي:** " أي يراجعُهُ في الكلام ويجاوبُهُ ، والمحاورَةُ: المجاوبَةُ. والتحاوُرُ التجاوب".<sup>7</sup>

أصل الحَوْرُ " الرجوع إلى النقص وهم يَتَحَاوِرُونَ أي يتراجعون الكلام ، والمحاوِرَةُ مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة وقد حاوره والمخوِرَةُ من المحاوِرَةِ مصدر كالمشوِرَةِ من المشاوِرَةِ وإنه لضعيف الحَوْرُ أي المحاوِرَةُ"<sup>8</sup>

## اصطلاحا:

أما الحوار في الإصطلاح كما عرفه بعض الباحثين ، فهو " مراجعة الكلام و تداوله بين طرفين أو أكثر، حول موضوع محدد، بصورة متكافئة ، و يغلب عليه الهدوء في الوصول إلى الحق ، والبعد عن التعصب و الخصومة"<sup>9</sup> وهو " نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين ، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر أحدهما دون الآخر ، و يغلب عليه الهدوء و البعد عن الخصومة و الغضب"<sup>10</sup> أو هو " مناقشة بين طرفين أو أطراف ، يقصد بها تصحيح كلام ، وإظهار حجة، و إثبات حق ، و دفع شبهه ، ورد الفاسد من القول والرأي"<sup>11</sup>

و يمكن تعريفه بأنه " مراجعة الحديث بين طرفين ، ينتقل من الأول إلى الثاني ، ثم يعود إلى الأول ، و هكذا و دون أن يكون بين هذين الطرفين ما يدل بالضرورة على وجود الخصومة"<sup>12</sup>

والخلاصة أن الحوار هو مراجعة الكلام بين طرفين مختلفين ، مع تقديم الحجج والبراهين لإقناع أحدهما برأي الآخر ، أو لتقريب وجهات النظر.

## ألفاظ مرتبطة بالحوار:

### الجدل لغة :

" من الجَدَل وهو شِدَّةُ القُتْل ، وَجَدَلْتُ الحَبْلَ أَجْدِلُهُ جَدْلًا إِذَا شَدَدْتُ قَتْلَهُ وَفَتَلْتُهُ فَتْلًا مُحْكَمًا " ، قال ابن منظور : "الجدل مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة اللدد في الخصومة و القدرة عليها ، و قد جادله مجادلة و جدالا "<sup>13</sup>

قال الراغب الأصفهاني: "الجدل المفاوضة على سبيل المنازعة و المبالغة ، و منه الجدل فكأن المتجادلين يفتل

كل واحد الآخر عن رأيه ، و قيل الأصل في الجدل: إسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة و هي الأرض"<sup>14</sup>

والجدل اصطلاحاً :

عرفه الجرجاني بأنه: " القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات، والغرض منه إلزام الخصم ، وإفحام من هو

قاصر عن إدراك مقدمات البرهان"، كما عرّفه أنه: "دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة".<sup>15</sup>

وقد ورد إطلاق (الجدل) في نصوص القرآن والسنة على نوعين متباينين:

الأول: الجدل المذموم ، وهو الذي يدور في طلب المغالبة لا الحق، أو الذي فيه نوع من الخصومة والتعصب، ومنه

قول الله تعالى في ذم جدال الكافرين: ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُزُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ & كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾<sup>16</sup>

والثاني : الجدل الحمود ، وهو الذي يكون في طلب الحق بالأسلوب الحسن بعيداً عن الخصومة: و قوله تعالى :

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾<sup>17</sup>

المناظرة:

المناظرة في اللغة

تدور حول النظر والتأمل والنظير الشبيه والمثيل

قال ابن منظور: " والتناظرُ التَّراوُضُ في الأمر ، وَنَظِيرُكَ الَّذِي يُرَاوِضُكَ وَتُنَاطِرُهُ وَنَاطِرُهُ مِنَ الْمِنَاطِرَةِ ، وَالتَّظْيِيرُ الْمِثْلُ

، وقيل المثل في كل شيء وفلان نَظِيرُكَ أَي مِثْلُكَ لِأَنَّهُ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهِمَا النَّاطِرُ رَأَاهُمَا سَوَاءً ، وَنَظِيرُ الشَّيْءِ مِثْلُهُ ... ويقال نَاطِرَتْ فَلَانًا أَي صِرَتْ نَظِيرًا لَهُ فِي الْمَخَاطَبَةِ وَنَاطِرَتْ فَلَانًا بِفُلَانٍ أَي جَعَلَتْهُ نَظِيرًا لَهُ".<sup>18</sup> " والمناظرة أن تُناظرَ أَخَاكَ فِي أَمْرٍ إِذَا نَظَرْتُمَا فِيهِ مَعًا كَيْفَ تَأْتِيَانِهِ وَالْمِنَظَرُ وَالْمِنَظَرَةُ مَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ فَأَعْجَبَكَ أَوْ سَاءَكَ".<sup>19</sup>

اصطلاحاً : " دفع المرء خصمه عن إفساد قوله: بحجة، أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة

في الحقيقة."<sup>20</sup>

فالمناظرة تفيد النظر والتفكير في الأمور والبحث عن الحق عن طريق المحاوره مع الآخرين، وهي محاوره بين طرفين

حول موضوع لكل منهما وجهة نظر فيه تخالف وجهة نظر الآخر , فهو يحاول إثبات وجهة نظره وإبطال وجهة نظر خصمه .

بين الجدل و الحوار والمناظرة:

الجدل يقع بين مختلفين كلٌّ واحد يريد أن يثبت صحة ما يعتقد .

الحوار قد يقع بين متوافقين كالحوار بين الزوج وزوجته والصديق وصديقه ، والأب وابنه والأم وبناتها ، وبين المفتي والمستفتي ، وبين الحاكم والمحكوم ، كما يقع الحوار أيضا بين المختلفين في الرأي أو الاعتقاد ، ولكنه يتسم بطريقته الهادئة

في الجدل يحرص كلُّ مجادلٍ على نقض حجج خصمه وإثبات حجته ، أما الحوار فإنه قد يكون الغرض منه التعليم أو التربية والإصلاح والدعوة إلى الله ، كما يهدف أيضا إلى نقض الشُّبه وإقامة الحجج ، أو تقريب وجهات النظر أو التعارف أو التآلف أو الاستيضاح والاستبيان .

المناظرة تكون بين طرفين حول قضيةٍ محدَّدة ووفق أسسٍ وضوابط يجتمع عليها المتناظران ولا تكون إلا بين مختلفين في الاعتقاد أو في الرأي أو في المذهب .

الجدل منه المحمود ومنه المذموم وأكثر وروده في القرآن : عن المذموم منه وهو الجدل العقيم والجدل بالباطل ، والجدل بغير علم ولا هدى ، أما الجدل الحمود فهو الذي يهدف للوصول إلى الحق وإظهاره .

الحوار أعم من الجدل ومن المناظرة ؛ إذ يشمل الجدل بِشَقِيهِ لأنه نوعٌ حوارٍ ، كما يشمل المناظرة باعتبارها طريقةً من طرقه .

## أهداف الحوار ومقاصده:

### 1: إقامة الحججة :

الغاية من الحوار إقامة الحججة وإظهار الأدلة التي تؤيِّد الحق وتقرره .

كشف الشبهات والرد على الأباطيل ، لإظهار الحق وإزهاق الباطل ، وتبديد ما عليه المشركون من أوهام وضلالات

، والتحذير من طرق الضلال

### 2: الدعوة :

الحوار الهادئ مفتاح للقلوب وطريق إلى النفوس فهو السبيل إلى دعوة الحق .

### 3: تقريب وجهات النظر :

من ثمرات الحوار تضيق هوة الخلاف ، وتقريب وجهات النظر ، ونزع فتيل الخلافات والإحز بين الأمم والشعوب

، سيما في هذا الزمان الذي كثرت فيه المشكلات واحتدمت النزاعات .

فالحوار من أرقى وأسهل طرق وأساليب التوصل بين الناس والتفاهم من أجل التعايش بين البشر الذي يجمعهم

أصلٌ واحد ويستوعبهم كوكبٌ واحد .

## 4: الحوار ضرورة عصرية :

ففي هذا العصر الذي أضحى العالم فيه مع تنائي الديار وتباعد الأفطار كالقريّة الصغيرة ، أصبح الحوار ضرورة تفرضها علينا تلك الثورة الهائلة التي لم تكن تخطر على بال ، ثورة الاتصالات سيما ذلك التواصل عن طريق شبكات الانترنت .

فمن كان يتصور قبل عقود قليلة أن توجد مثل هذه الشبكة التي تربط العالم بهذا الشكل سواء بنقل المعلومات فورياً ، أو بالسماح بالحوار عبر المعمورة بحرية كاملة وتكاليف قليلة هي رمزية في معظم الأحيان! هذا فضلاً عما حدث من تقدم في وسائل الاتصال الأخرى ، وتيسر السفر والانتقال والتلاقي والتحاور .

### 5: طلب الحق و الرد على أهل الزيغ والضلال :

فالحوار يهدف إلى التوصل إلى الحقيقة الثابتة ومن ثمّ التسليم بها ثمّ الدعوة إليها ، وفي ذلك يقول الإمام الغزالي عند ذكره لعلامات طلب الحق : "أن يكون في طلب الحق كناشد ضالة ، لا يفرّق بين أن تظهر الضالة على يده ، أو على يد من يعاونه ، ويرى رفيقه معيناً لا خصماً ، ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق " <sup>21</sup>

قال ابن تيمية رحمه الله : " فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابهم لم يكن أعطى الإسلام حقه ، ولا وقي بموجب العلم والإيمان ، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمانينة النفوس ، ولا أفاد كلامه العلم واليقين " <sup>22</sup>

### 6: الحوار لغة العقل والمنطق :

تنتصر فيه قوة الحجة والبرهان دون خسائر بشرية أو مادية فلا يحتاج إلى إعداد الجيوش وتجهيزها ، ولا بيدد ثروات الشعوب وإمكاناتها في سباق التسلّح وما أدراك ما ينفق عليه من أموال تكفي لإطعام كل جائع وتوزيع كل أيم وإيواء كل مُشرّد على وجه الأرض ، وإن كانت لغة القوة لا يستغنى عنها في الدفاع عن الأنفس والأرواح واستعادة الحقوق . من هنا كان الجهاد لتأمين طريق الدعوة وتهيئة أجواء الحوار الهادف ، وإزالة كل سلطان وطغيان يقف عقبة في طريق الحقّ ، وتحرير الشعوب من أكابر المجرمين الذين يستبدون ويستعبدون المستضعفين بالقسر والقهر والجبر .

### 7: الحوار لون من ألوان الجهاد :

فَعَنْ أَنَسٍ - رضي الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - (( جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَالسِّبْغِ )) <sup>23</sup> وفي هذا الحديث أمرٌ بالمنظرة وإيجابها كإيجاب الجهاد والنفقة في سبيل الله .

"وهذا الواجب قد فرّط فيه كثيرٌ من الدعاة والمصلحين، ففي الوقت الذي نجد فيه دعاة التقريب بين الأديان ودعاة العصرانية ينشطون لذلك ويعقدون الندوات والمؤتمرات تارة باسم التعاون وأخرى باسم التسامح والتعايش وثالثة لتحاشي النزاعات وصدام الحضارات على حد زعمهم ، وغير ذلك من موضوعاتٍ ؛ نجد في الوقت نفسه تقاعسا كبيرا وعزوفاً من دعاة الحق عن هذا النوع من الجهاد " <sup>24</sup>

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن الجدل " هو من باب دفع الصائل؛ فإذا عارض الحق معارض جودل بالتي هي أحسن " <sup>25</sup> والله عز وجل قد يدفع بالحجة واللسان ما لا يدفعه بالسنان وقال الفقيه ابن حزم رحمه الله : " ولا غيظ أغيظ على الكفار والمبطلين من هتك أقوالهم بالحجة الصادعة ، وقد تُهزّم العساكرُ الكبارُ ، والحجةُ الصحيحةُ لا تغلب أبداً فهي أدعى إلى الحق وأنصر للدين من السلاح الشاكي والأعداد الجمة " <sup>26</sup> .

لا ينبغي أن يتصدى للحوار إلا من تأهل له بالعلم النافع والاستقامة على المنهج فضلاً عن الإخلاص والتجرد ،

والتلطف بالآخر والرفق به والإشفاق عليه ، وفيما يلي نتناول هذه المؤهلات بشيء من التفصيل والبيان .  
وقد صح عن الشافعي رحمه الله أنه قال: " وددت أن الخلق تعلموا مني هذا العلم على أن لا ينسب إليَّ حرفٌ منه " ، وقال رحمه الله : " ما ناظرْتُ أحداً قط على الغلبة ، ووددتُ إذا ناظرْتُ أحداً أن يظهرَ الحقُّ على يديه ، وقال: ما كلمتُ أحداً قط إلا وددتُ أن يوفق ويسدد ويُعان ويكون عليه رعاية من الله وحفظ " .<sup>27</sup>

### آيات الحوار في مشاهد القيامة:

وردت آيات الحوار في مشاهد القيامة في القرآن الكريم في عدة سور ، و في ما يلي

|                                     |          |
|-------------------------------------|----------|
| 167-166                             | البقرة   |
| 107-106                             | آل عمران |
| 97                                  | النساء   |
| 116                                 | المائدة  |
| 23- 24<br>27,31<br>94-93<br>129-128 | الأنعام  |
| 52، 37                              | الأعراف  |
| 29-28<br>54<br>92-90                | يونس     |
| 19-18                               | هود      |
| 24-23                               | الرعد    |
| 21,30<br>44-43                      | إبراهيم  |
| 27,35<br>87-86                      | النحل    |
| 14-13                               | الإسراء  |
| 29<br>47,49                         | الكهف    |

|         |          |
|---------|----------|
| 53-52   |          |
| 102،104 | طه       |
| 103-97  | الأنبياء |
| 64،67   | المؤمنون |
| 99،115  |          |
| 12،19   | الفرقان  |
| 25،29   |          |
| 90،104  | الشعراء  |
| 83،85   | النمل    |
| 66-62   | القصص    |
| 55      | العنكبوت |
| 55،57   | الروم    |
| 12،20   | السجدة   |
| 65،68   | الأحزاب  |
| 31،42   | سبأ      |
| 27-26   | يس       |
| 54-51   |          |
| 58      |          |
| 63،65   |          |
| 19،33   | الصفافات |
| 50،61   |          |
| 56،64   | ص        |
| 56،59   | الزمر    |
| 71،74   |          |
| 10،12   | غافر     |
| 47،50   |          |
| 76-71   |          |
| 19،23   | فصلت     |
| 29      |          |

|       |           |
|-------|-----------|
| 48-47 |           |
| 66,78 | الزخرف    |
| 47,51 | الدخان    |
| 28,35 | الجاثية   |
| 20,34 | الأحقاف   |
| 20,35 | ق         |
| 14    | الطور     |
| 17,19 |           |
| 25,28 |           |
| 7_8   | القمر     |
| 12,15 | الحديد    |
| 18    | المجادلة  |
| 11-10 | المنافقون |
| 8     | التحريم   |
| 7,12  | الملك     |
| 42    | القلم     |
| 18,34 | الحاقة    |
| 39,47 | المدثر    |
| 10    | القيامة   |
| 38,50 | المرسلات  |
| 40    | النبأ     |
| 13,17 | المطففين  |
| 25,30 | الفجر     |
| 18-17 | العلق     |
| 3     | الزلزلة   |

ركزت حوارات القيامة في القرآن على أربعة مضامين أساسية ، هي : توحيد الله ونفي الشركاء ، وإقامة الحججة على الكافرين ، ودفعهم للاعتراف باستحقاقهم العذاب ، و تخلي المتبوعين عن أتباعهم ، و تمني الكافرين الرجوع إلى الدنيا ،

## 1. وحدانية الله ونفي الشركاء

شغلت قضية التوحيد حيزا كبيرا في حوارات يوم القيامة، وأنكر الله على المشركين اتخاذ معبودات من دونه ، وهو بذلك يصور التشعب الديني ، وتعدد العبادات من دون الله ، وتنوع أشكالها وصورها من أصنام و أوثان، و أشخاص ، وحجارة شياطين وملائكة وجن . وقضية التوحيد هي القضية الأولى من قضايا العقيدة الإسلامية التي أكدها القرآن الكريم ، وأطلق الحكم الفاصل فيها، فهو الإله الواحد الذي لا إله غيره في السماء والأرض ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ & اللَّهُ الصَّمَدُ & لَمْ يَلِدْ وَّمْ يُولَدْ & وَّمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾<sup>28</sup>

وتكرر سؤال المشركين عن الشركاء في مشاهد القيامة بصور وأساليب مختلفة ، وكذلك اختلف صور الإجابة ، وتعددت الأطراف التي وردت الإجابة على أسنتها، ولاشك أن السؤال عن الشركاء استفهام توبيخ وتقريع وإهانة ، وهو في الحقيقة ضرب من العقاب، فالشركاء لا يملكون نفع المشركين ، ولا الانتصار لأنفسهم.

تبدأ حوارات هذه القضية منذ لحظة الموت ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوهُمْ قَالُوا أَإِنَّ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَيْنَا أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾<sup>29</sup>

ويوجه الله سؤالا للملائكة عن عبادة المشركين إياهم ، ويسألهم توبيخا وتقريعا للمشركين ﴿ وَيَوْمَ يَخْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾<sup>30</sup>

فجاء جواب الملائكة مطابقا للغاية من السؤال ، بتنزيه الله عن الشرك ، وإثبات ولائهم لله تعالى ، وتأكيده فساد عقيدة المشركين باتباعهم غواية الشياطين ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾<sup>31</sup>

ويسأل الله عيسى عليه السلام عن انحراف أتباعه من بعده ، وقولهم بربوبية عيسى عليه السلام ، وأنه ابن الله ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهْتِنَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾<sup>32</sup>

فأجاب بالتسبيح تنزيها لله ، وتعظيمه أن يكون له شريك ﴿ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّقِ ﴾<sup>33</sup>

ثم أكد ذلك بإجابة الأمر إلى علم الله الواسع وقابله بعلمه المغمور ﴿ إِنْ كُنْتُمْ قُلْتُمْ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾<sup>34</sup>

ويسأل الله المشركين عن الشركاء ساعة الحشر ، توبيخا وتقريعا و إقامة للحجة عليهم وإظهارا لفساد عقيدتهم، يقول تعالى ﴿ وَيَوْمَ نَخْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾<sup>35</sup>

والإجابة هنا كانت من المشركين ، فقد نفو شركهم ، و أقسموا على ذلك مع علمهم بكذبهم ، ونسو أنهم بين يدي الله تعالى ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتِنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾<sup>36</sup>

وفي قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ نَخْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائُكُمْ فَرِئَلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ ﴾<sup>37</sup>

الخطاب موجه لهؤلاء وهؤلاء " مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ " ورغم أنهم متقاربون في المكان ملتزمون فيه ، إلا أن الله قطع ما بينهم من صلوات النفع والشفاعة ، الرد في هذا المشهد من الشركاء موجه للمشركين ، ينكرون فيه عبوديتهم لهم ، ويتبرؤون منهم ، ﴿ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيانًا تَعْبُدُونَ ﴾

ويطلب الله من المشركين أن ينادوا شركاءهم ، ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴾<sup>38</sup>

"وبدافع من الاحتيال أو الرغبة في النجاة يتوجه المشركون إلى شركاء الله في زعمهم، ويدعونهم و لكنهم يتخلون عنهم ولا يستجيبون لهم ، وفي صمتهم دلالة التخلي عنهم، وعدم نصرتهم لهم."<sup>39</sup>

ويذل الله المشركين ، ويسألهم السؤال نفسه تقريرا وتوبيخا ، أين شركائي الذين كنتم تخاصمون المؤمنين في شأنهم ؟ ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِبُهُمْ وَيَقُولُ أَيَّنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾<sup>40</sup>

وجعل الإجابة هنا على السنة الأنبياء والعلماء ، تنبيها لخزي المشركين وهوأهم.

وينادي الله المشركين ، ويسألهم عن الشركاء ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيَّنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيانًا يَعْبُدُونَ ﴿<sup>41</sup>

"والجواب في هذا الموضوع من الذين حق عليهم القول ، وهم الشركاء ، والمقصود بقوله حق عليهم القول ، أي وجب عليهم مقتضاه وثبت "<sup>42</sup> وهو قوله ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾<sup>43</sup>

فيقولون : ﴿ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيانًا يَعْبُدُونَ ﴾ هؤلاء الذين أضللناهم بالوسوسة كما ضللنا نحن باختيارنا ، تبرأنا إليك منهم ومن شركهم ومعاصيهم ، لأنهم إنما كانوا يعبدون أهواءهم وشهواتهم ، ميلا منهم للباطل ، ومقتنا للحق ، لا بقوة منا على استكراهم ولا سلطان ، ويأمر الله المشركين أن يدعوا شركاءهم ، زيادة في تبكيتهم ، بعد سماعهم ما قاله الشركاء ، فيدعونهم فلا يستجيبون لهم ، ورغم أنهم سمعوا ما قاله الشركاء عنهم ، إلا أنهم دعوهم ، وهو دعاء اليأس القانط ، فهم يعرفون ردهم ، ويعرفون أنهم لن يستجيبوا لهم ، وعند دعائهم لم يجدوا جوابا منهم ، وكان جوابهم أن رأوا العذاب ﴿ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأُوا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّكُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴾<sup>44</sup> فالعذاب هو مصير المشركين الذين يتخذون آلهة من دون الله في الدنيا ، فلا تنفعهم يوم القيامة ، وليس للمشركين إلا عذاب النار ، يقول الله في موضع آخر: ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴾<sup>45</sup> ويقر المشركون بربوبية الله يوم القيامة ، وينفون نفيا قاطعا أن يكون له شريك.

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيَّنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْنَاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴾<sup>46</sup> والجديد في هذا الآية أسلوب الإجابة وإعلانها ، ودلالة الجهر بما قالوا ، وهو نفي الشرك بالله والإعلان بإقرارهم بربوبيته ، والتأكيد عليه ، طلبا للنجاة.

نلاحظ من خلال عرض هذه المشاهد ، وتحليل ما فيها من حوارات ، أنها تصور الأحوال النفسية التي يعيشها المشركون في هذه المواقف ، وما يلقون من تبكيت وتقريع وشماتة ، وتعكس ما يشعرون به من الخيبة والحسرة الهول والفرع ، فتارة يقسمون على عدم شركهم ، ويعلنون ذلك اعترافا أمام الأَشْهَاد ، وتارة يلقون اللوم على الشركاء ، وأخري يحاربون

فلا يردون جوابا ، ويشعرون بالحزني فيصمتون ، أما الشركاء فالظاهر من كلامهم أنهم يناصرون المشركين العدا ، إضافة إلى تخليتهم عنهم ، وإلقاء اللوم عليهم ، أما الملائكة وعيسي عليه السلام فاعتمدوا أسلوت التقديس والتنزيه لله أن يكون له شريك ، وإحالة الأمر لعلمه ، والتبرؤ من العابدين .

## 2. إقامة الحجة على الكافرين والاعتراف باستحقاقهم العذاب:

أرسل الله تعالى الرسل للناس مبشرين ومنذرين ، وأنزل الكتب السماوية ، وختمها بالقرآن الكريم ، وجعل في كل زمان ومكان علماء أفاضل أجلاء قائمين على دراسة القرآن ، واستنباط أحكامه ، إضافة إلى ما في آفاق الكون ، وفي الأنفس من آيات تدل على ألوهية الله وتفرد ، وأحقيقته بالعبادة ، وكل هذه الأمور حجج على الناس للقيام بعبادته ، والالتزام بطاعته ، فلاحجة لأحد من الناس على الله بعد ذلك بالجهل والغفلة ممن جاءتهم الرسل ، وتليت عليهم الآيات . "وقد أكدت حوارات مشاهد القيامة هذا المبدأ ، وتكرر فيها على عدة وجوه ، وتعددت فيه أطراف الحوار وأساليبه ، تأكيدا له ، وإقامة للحجة على الكافرين ، ودفعهم للاعتراف بتقصيرهم ، واستحقاقهم العذاب "47 . فيسأل الله الكافرين مقيما عليهم الحجة : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾<sup>48</sup> فتصيبهم حالة من الذهول ، ولا يجدون جوابا ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾<sup>49</sup>

وفي إجابة عيسي عليه السلام يوم القيامة تأكيد على تبليغه الرسالة بصدق وأمانه ، ودعوته إلى عبادة الله وحده لا شريك له ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾<sup>50</sup> وكان السؤال على مسمع من أمته ليقوم الحجة عليهم فتعترفون بانحرفهم عن طريق الحق .

ويسأل الله أهل النار مقرعا إياهم بسبب تقصيرهم وتجاهل آياته ﴿ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾<sup>51</sup> فيجيبون مدعنين ، مقرين بأن ما أصابهم كان بسبب غفلتهم وضلالهم ، وانشغالهم بلذاتهم وشهواتهم عن آيات الله ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴾<sup>52</sup>

ويسألهم عن تكذيبهم بآياته ، من أنبياء ورسل ، وكتب سماوية ، ودلائل خلقه في أنفسهم ، وفيما حولهم من بدائع الكون ﴿ أَكْذَبْتُمْ بآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ آدَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾<sup>53</sup> فلا يجيبون إقرارا بغفلتهم وضلالهم .

ويكرر السؤال في مشهد آخر ﴿ أَوَلَمْ نَعْمَرِكُمْ مَا يَنْدَكُرُ فِيهِ مِنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾<sup>54</sup>

وينهي الله أهل النار عن الاختصام ، لعدم الجدوى منه ، ويحتج عليهم بإرساله الرسل وتقديم الوعيد ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴾<sup>55</sup>

وتسأل ملائكة العذاب الكافرين عن الرسل : ﴿ كُلَّمَا أَلْقِي فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتُمْ خَزَنَتَهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾<sup>56</sup> ، فيجيبون بالإقرار والاعتراف بإنكارهم النذر ، بسبب ضلالهم الكبير ﴿ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴾<sup>57</sup> وعزوا ذلك إلى عدم التبصير ، وهو اعتراف ضمني بتقصيرهم ، واستحقاقهم العذاب ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾<sup>58</sup>

وتسأل الملائكة أهل النار عن الرسل والآيات في مشهد آخر ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا

فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿59﴾ ، فيجيبون بالإيجاب ، والإقرار باستحقاق العذاب ، وفي المرة الأولى التي يعترفون فيها بالكفر واستحقاقهم العذاب صراحة ، دون اللجوء إلى الاعتذار ، أو التذرع بالأسباب ، أو الصمت .

أما المؤمنون فيحمدون الله أن هداهم للحق ، فآمنوا بالرسول ، وصدقوا بالآيات ، فكانت النتيجة دخولهم الجنة خالدين فيها ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تَلَکُمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿60﴾

### 3.3. تخلي المتبوعين عن الأتباع

وقد ركزت حوارات مشاهد القيامة في القرآن على هذه القضية ، لما للتبعية من خطر على المجتمعات ، ولما لها من آثار سلبية تؤدي إلى انتشار الظلم ، وتفشي الفساد ، فوضحت الحوارات علاقة المصاحبة بين الأتباع والمتبوعين في الدنيا ، وبينت انقلابها وتحولها يوم القيامة إلى تلاعن وتشاتم ، وأشارات إلى صفات كل من الأتباع والمتبوعين ، وأقرت المصير المشترك لهم ، وهو الخلود في النار .

وقد جاءت الحوارات بين الأتباع والمتبوعين بأساليب وصور عديدة ، تؤكد علاقة العداوة بين الأتباع والمتبوعين وترسخها ، ففي أحد المشاهد تصوير لموقف الشيطان وهو يتبرأ من أتباعه ، في الخطبة التي القاها على أهل النار فيقول الله تعالى حكاية عنه ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿61﴾ فهو يتبرأ من أتباعه ، وينفي إغواءه وتضليله لهم بقدره منه على ذلك ، وإنما كان ذلك بإرادتهم واختيارهم ، ويؤكد هذه المعنى قوله تعالى في موضع آخر ﴿ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطَعَيْتُهُ وَلَكِن كَانِ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ ﴿62﴾

والقرين "هو الشيطان" <sup>63</sup> بدليل قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ ﴿64﴾ "فيتبرأ الشيطان من إغوائه الكافر ، ويعزو ذلك إلى الضلال البعيد الذي كان عليه هذا الكافر ، وفيه إعلام من الله لعباده في الدنيا ، أن الشيطان سيتبرأ من أعوانه وأتباعه يوم القيامة ، حتى يحذروا اتباعه ، ويحصنوا أنفسهم من إغوائه" <sup>65</sup>

وبا المقابل فإن القرآن يعرض مشهدا حواريا متكاملا يبين فيه صورة المؤمن الصالح الذي لا يؤثر فيه إغواء الشيطان ، من شياطين الجن أو الإنس ، وذلك بقصد المقابلة بين حال المؤمن وحال الكافر يوم القيامة ، فيقول ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ & يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ & أَيَّدَا مِننَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ & قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ & فَاطَّلَعَ فَرَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ & قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينَ & وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ & ﴾ ﴿66﴾ وهي دعوة إلى الثبات على الحق ، وعدم اتباع الهوي ، ومن يزينون له من شياطين الإنس والجن .

أما عن علاقة الأتباع والمتبوعين من الإنس فتصور الحوارات مدي التباعد والجفاء بينهم ، وتقطع الصلات ،

والتلاعن والتشائم ، فلا قدرة على تقديم النفع أو الشفاعة من المتبوعين، ولا أمل لذلك لدي الأتباع.  
ففي بيان علاقة العداة والكراهية بينهم ، يقول الله على لسان المتبوعين: ﴿ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِتْمَهُمْ صَلَّوْا النَّارَ ﴾<sup>67</sup>

يشتم المتبوعين الأتباع فيردون عليهم الشتيمة ، ويحملونهم مسؤولية ما هم فيه من العذاب:

﴿ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبَيْسَ الْقَرَّارِ ﴾<sup>68</sup>

ولم يكتف الأتباع برد الشتيمة على رؤسائهم ، وإلقاء اللوم عليهم ، وجعلهم السبب فيما هم فيه من العذاب وإنما دعوا الله أن يزيدهم عذابا مضاعفا ﴿ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴾<sup>69</sup>

وتكرر صورة الملاعة والكراهية من خلال ما يدور بينهم من حوارات ، ففي مشهد آخر يصف دخولهم النار على أفواج من الأتباع والمتبوعين ﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾<sup>70</sup>

فهم يتلاعنون ويتبادلون الشتم ، ويسألون الله العذاب مضاعفا للمتبوعين ، فيجيبهم الله أن لكل منهم ضعفا من العذاب، ولكنكم لا تعلمون مقادير هذا العذاب وصوره ، ولعل المقصود هنا ما يتحصل على الرؤساء من العذاب النفسي والمعنوي ، فالأتباع والمتبوعين معا في دار العذاب، ولكنهم يتفاوتون في مقداره ، فالكافرون من ضعفاء الناس وفقرائهم، يختلفون عن الزعماء والرؤساء والأسياد في أقوامهم.

ويتخلى المتبوعين عن الأتباع ، ويحملونهم مسؤولية ضلالهم ، وأنهم اتبعوهم بإرادتهم ، فهم لا يفضلونهم بشيء ﴿ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأَخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَدُوِّقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾<sup>71</sup>

ويتبرأ المتبوعين من إضلال أتباعهم في مشهد آخر قائلين ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوهُمُ أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُّجْرِمِينَ ﴾<sup>72</sup>

فيجيبونهم مؤكدين أنهم السبب في ضلالهم ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوهُمُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَعْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾<sup>73</sup>

ونلاحظ في الآيتين أنه أطلق على المتبوعين صفة الاستكبار ، وعلي الأتباع صفة المستضعفين ، وأنه لا جدوى من كلتا الصفتين ، فهما لا تنفعان أصحابهما ، وهم في الجحيم والعذاب سواء.

ويتمنى الأتباع أن يعودوا إلى الدنيا فيبرؤون من أسيادهم كما تبرؤوا هم منهم ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَاهُمْ حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾<sup>74</sup>

ويطلب الأتباع المساعدة من المتبوعين على وجه اليأس والقنوط ، فهم يعلمون عجزهم عن ذلك ﴿ فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ، فيجيبونهم بالعجز: ﴿ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ هَدَيْنَاكُمْ سِوَاءَ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴾<sup>75</sup>

وأتبعوا ذلك بالإقنات ، وأخذوا في لوم الأتباع على جزعهم ، وعدم صبرهم ، وأنهم وإياهم مجتمعون في عذاب

واحد ، ولا سبيل للنجاة منه ، وأنه لا فائدة من الجزع ، كما لا فائدة من الصبر .

وبالمقابل يبرز الله صورة أخرى للمؤمنين الذين يثبتون على طريق الحق ، ولا يتبعون الباطل ، فيقول على لسان أهل النار ﴿ مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴾ & أَخَذْنَا هُم سِحْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿ 76 ﴾ ، وهي مقابلة بين أحوال الأتباع الذين اتبعوا الضلال بسبب ضعف نفوسهم ، وضعفاء المؤمنين الذين كانوا يلقون السخرية والإهانة من الطغاة ، لكنهم ثبتوا على إيمانهم ، ولم ينجرفوا وراء الأهواء ، وشتان بين مآب كل من الفريقين ، وهي دعوة إلى الثبات على الحق ، وعدم اتباع الهوي ، ومن يزينون له من شياطين الإنس والجن .

والمقصود من حوارات الأتباع والمتبعين يوم القيامة إنذار الغافلين في الدنيا ، وتحذيرهم من التورط فيما يؤدي إلى الحسرة والندم في الآخرة ، إذ لا ينفعهم فيها ندم ولا حسرة .

#### 4. تمني الكافرين الرجوع إلى الدنيا

اقتضت حكمة الله تعالى أن يجعل الدنيا دار عمل ، وأمر الناس بالاستقامة والصلاح فيها ، وكلفهم بالعبادات والطاعات ، وأرسل إليهم الرسل للهداية ، وذلك منذ بداية الخلق ، فقد جعل الحياة على الأرض مرحلة يعيشها الإنسان للابتلاء والعمل : ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ 77 وتنتهي فترة الابتلاء والعمل بانتهاء حياة الناس على الأرض بالموت ، فتقطع أعمالهم من الدنيا ، تمهيدا ليوم الحساب الذي يثيب الله فيه المحسنين ، ويعاقب الكافرين وفق ما قدموا من أعمال ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ 78

أما الكافر فيعلم أنه قصر في حياته ، ولم يقدم من الطاعات ما ينجي في هذا اليوم ، فيتمني الرجعة إلى الدنيا ليتدارك ما فاتته ، ولكن لا سبيل إلى الرجوع ، وقد انتهت مدة ابتلائه ، وليس له إلا ما قدم من أعمال ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ 79

وقد تكرر مبدأ رغبة الكافرين في الرجوع إلى الدنيا في مشاهد القيامة ، وتكرر رد طلبهم من الله تعالى ، تأكيدا منه أن هذا اليوم هو يوم الجزاء والعقاب ، ولا مجال لتدارك ما فاتهم من تقصير في حياتهم الدنيا .

وتبدأ الرغبة في الرجوع إلى الدنيا منذ لحظة الوفاة : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾ & لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ 80

فيجيبه الله تعالى زاجرا ﴿ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ 81 فلا يجاب طلبه .

ويأمر الله الناس بالإففاق في سبيل الله قبل أن تأتيهم ساعة الموت فيندمون ويتمنون تأخير الأجل ، ليقدموا الطاعات ويتداركوا تقصيرهم ، حيث لا ينفع الندم ، ولا يجاب طلبهم ﴿ وَأَنْفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَّ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ 82

ويأتي الجواب من الله ، بنفي التأخير ﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾<sup>83</sup>  
 أما يوم القيامة ، فيتضرع الكافرون إلى الله ، ويتمنون الخروج من النار ، ويطلقون الوعود بالصلاح والاستقامة ،  
 وعدم الرجوع إلى ما كانوا عليه من التكذيب والعناد ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾<sup>84</sup> ، فيجيبهم الله زاجراً  
 إياهم ، ومحقراً لهم : ﴿ قَالَ احْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾<sup>85</sup> أي لا تكلموني في إخراجكم منها.  
 وفي مشهد آخر يتمني الكافرون أن يخرجوا من النار ، ويرجعوا إلى الدنيا حتى يعملوا صالحاً ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ  
 فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾

وتضمن كلامهم اعترافاً بفساد أعمالهم في حياتهم الأولى ، فطلبوا الرجعة ليصلحوا ما فسد منها ، فيجيبهم الله  
 تعالى : ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ﴾

أي لقد أعطيتكم الفرصة الكافية للصلاح والطاعة ، ولكنكم فرطتم فيها ، فلا مجال لفرصة أخرى.

وحين يطلع الكافرون على سوء ما حل بهم من العذاب ، فإنهم يندمون على تفریطهم ويتمنون الرجعة إلى الدنيا  
 ﴿ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴾<sup>86</sup>

ويصور الله شدة الحسرة ، وعمق الندم لدي الكافرين يوم القيامة ، فيتعلمون بالأمانى ويبحثون بأساً عن شفعاء  
 ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا  
 لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾<sup>87</sup>

ويعلمون الرجوع إلى الدنيا ليتداركوا تقصيرهم ﴿ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾  
 ويعلق الله على هذه الأقوال بأنهم خسروا أنفسهم ، وذلك بتكذيبهم وافترائهم ، ولا خسران أعظم من أن يخسر  
 الإنسان نفسه يوم القيامة ﴿ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾

يتبين من خلال هذا العرض السريع دور الحوار في مشاهد القيامة في تثبيت المبادئ والمضامين التي أراد الله تثبيتها  
 ، فقد أكدت الحوارات هذه المضامين بطرائق وأساليب مختلفة ، بحيث تخدم الغرض الديني ، وحققت هذه الحوارات  
 غايات سامية في إطار صور من المواقف المتعددة، وأبرزت سمات المتحاورين ، بكل ما يعتورهم من تحولات ، وابتناجهم من  
 مشاعر .

وقد لاحظنا أن هذه المضامين الخاصة بيوم القيامة لاتنفصل عن المضامين الكلية للقرآن الكريم ، بل إنها تنفق  
 معها، وتدعمها.

### النتائج :

بعد الوقوف على هذه الدراسة البسيطة حول " دور الحوار في مضامين القيامة " وصلت إلي نتائج عديدة فمن

أهمها:

1. الحوار وسيلة مهمة من وسائل تبليغ الحق ونصرته ، ودفع الباطل ، والهدف منه الوصول إلى الحقيقة ، وهو أسلوب مستقل اعتني به علماء الشريعة ، والحوار الهادئ الملتزم يمكن أن يكون مفتاحا للقلوب ، وطريقا إلى الأفئدة ، ومحققا لنتائج إيجابية كثيرة.
2. تعددت أطراف الحوار في مشاهد القيامة ، ويرتبط هذا بالأغراض الدينية المقصودة من الحوار.
3. تدور حوارات مشاهد القيامة حول أربعة مضامين أساسية ، هي : توحيد الله ونفي الشركاء ، وإقامة الحججة على الكافرين ، و تخلي المتبوعين عن أتباعهم ، وتمني الكافرين الرجوع إلى الدنيا.
4. كان للاستفهام حضور واضح في إبراز دلالات الجملة الحوارية ، وكان للإجابة الأثر البالغ في إبراز الغرض من السؤال ، وإظهار دلالاته من إقرار ونفي وتعجب و إنكار.
5. ألفاظ القرآن كلها تلائم بعضها بعضا، ليس فيه لفظة نافرة عن أخواتها ، غير لائقة بمكانها ، وكلها موصوفة بحسن الجوار ، إذ تتضافر الألفاظ كلها لأداء المعنى المقصود في حوارات مشاهد القيامة، بحيث يبلغ ائتلاف اللفظ مع المعنى منتهاه.
6. أكدت الحوارات مضامين القيامة بطرق و أساليب مختلفة، بحيث تُخدم الغرض الديني ، في إطار صور من المواقف المتعددة، وأبرزت سمات المتحاورين وانفعالاتهم ، بكل ما يعتورهم من تحولات، ويتناهم من مشاعر.
7. حوارات القيامة قوية مقنعة بذاتها ولها في النفس أثر خلاب.

## الهوامش والمصادر

- <sup>1</sup> مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب ، دار المعارف مصر ، ص : 7
- <sup>2</sup> الصورة الأدبية في القرآن الكريم ، عبد التواب ، صلاح الدين - الشركة المصرية العالمية للنشر ، القاهرة ص:187
- <sup>3</sup> الكهف/34
- <sup>4</sup> الكهف/37
- <sup>5</sup> المجادلة/1
- <sup>6</sup> مفردات القرآن ، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة، الطبعة الأخيرة/ 1381هـ ، ص: 262
- <sup>7</sup> الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ، المحقق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة : 1423 هـ/ 2003 م، 403/10
- <sup>8</sup> لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر: دار صادر بيروت، الطبعة الأولى.مادة حور
- <sup>9</sup> الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة ، يحيى بن محمد زمزمي ، دار التربية والتراث -مكة المكرمة - رمادي للنشر - الدمام ،

- ص : 6
- <sup>10</sup> الحوار أصوله و آدابه و كيف نربي أبناءنا عليه ، موسى بن يحيى 2007، دار الخضير للنشر والتوزيع - المدينة المنورة ، ص :30
- <sup>11</sup> أصول الحوار و آدابه في الإسلام، صالح بن عبدالله ، دار المنارة للنشر والتوزيع - جدة - مكة. ص : 6
- <sup>12</sup> الحوار في القرآن الكريم معن محمود ضمرة ، جامعة النجاح الوطنية كلية الشريعة 2005 ، رسالة ماجستير، ص : 8
- <sup>13</sup> لسان العرب ، ابن منظور ، 105/12.
- <sup>14</sup> مفردات القرآن ، الراغب الأصفهاني ، مادة جدل
- <sup>15</sup> التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني الناشر : دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة الأولى ، 1405 تحقيق : إبراهيم الأبياري، ص : 102
- <sup>16</sup> غافر/4-5
- <sup>17</sup> النحل/125
- <sup>18</sup> التعريفات ، الجرجاني ، ص : 298 ، لسان العرب ، ابن منظور ، 217/5.
- <sup>19</sup> لسان العرب ، ابن منظور ، 217/5
- <sup>20</sup> التعريفات ، الجرجاني ، ص : 298
- <sup>21</sup> إحياء علوم الدين ، إمام أبو حامد الغزالي، المكتب الثقافي، الأزهر القاهرة، الطبعة الأولى 1423 هـ 2003 م ، 44 / 1
- <sup>22</sup> درء التعارض العقل والنقل ، تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم المعروف بابن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، إدارة الثقافة والنشر في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض ، 1 / 207
- <sup>23</sup> سنن أبي داود ، سليمان بن أشعث ، رقم الحديث 2504 ، والمستدرک ، الحاكم ، رقم الحديث 2384
- <sup>24</sup> رؤية شرعية في الجدال والحوار مع أهل الكتاب ، الشريف محمد بن حسين الصمداني، ص 3
- <sup>25</sup> الرد على المنطقيين ، ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني أبو العباس ، الناشر : دار المعرفة - بيروت ، 1 / 468
- <sup>26</sup> الإحكام في أصول الأحكام ، الإمام علي بن أحمد بن حزم الأندلسي ط : دار الحديث - القاهرة الطبعة الأولى ، 1404 ، 28/ 1
- <sup>27</sup> سير أعلام النبلاء ، : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز الذهبي ، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الثالثة ، 1405 هـ / 1985 م ، 10 / 76
- <sup>28</sup> الإخلاص/4-1
- <sup>29</sup> الأعراف/37
- <sup>30</sup> سبأ/40
- <sup>31</sup> سبأ/41
- <sup>32</sup> المائدة/116
- <sup>33</sup> المائدة/116
- <sup>34</sup> المائدة/116
- <sup>35</sup> الأنعام/22
- <sup>36</sup> الأنعام/23
- <sup>37</sup> يونس/28
- <sup>38</sup> الكهف/52

- 39 الحوار في القرآن الكريم ، معن محمود ضمرة ، ص : 45
- 40 النحل/27
- 41 القصص/62-63
- 42 الكشاف، الزمخشري ، 4 / 518
- 43 هود/119
- 44 القصص/64
- 45 ق/26
- 46 فصلت/47
- 47 الحوار في القرآن الكريم ، معن محمود ضمرة ، ص : 67
- 48 القصص/65
- 49 القصص/66
- 50 المائدة/117
- 51 المؤمنون/105
- 52 المؤمنون/106
- 53 النمل/84
- 54 فاطر/37
- 55 ق/28
- 56 الملك/8
- 57 الملك/9
- 58 الملك/10
- 59 الزمر/71
- 60 الأعراف/43
- 61 إبراهيم/22
- 62 ق/27
- 63 الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله الزمخشري ، الناشر: دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثالثة 1407 هـ، عدد الأجزاء: 4 ، 5/599
- 64 الزخرف/36
- 65 الحوار في القرآن الكريم ، معن محمود ضمرة ، ص : 88
- 66 الصافات/51-57
- 67 ص/59
- 68 ص/60
- 69 ص/61
- 70 الأعراف/38

- 71 الأعراف/39  
72 سبأ/32  
73 سبأ/33  
74 البقرة/167  
75 إبراهيم/21  
76 ص/62-63  
77 البقرة/38  
78 الكهف/49  
79 النجم/39  
80 المؤمنون/99-100  
81 المؤمنون/100  
82 المنافقون/10  
83 المنافقون/11  
84 المؤمنون/107  
85 المؤمنون/108  
86 الشورى/44  
87 الأعراف/53